بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية

تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

دار الوطن للنشر

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران الآية 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء الآية 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب الآيتان 70، 71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة،وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فمنذ أن أشرقت أنوار الحق ببعثة النبي ﷺ، وأذن الله تعالى باكتمال الدين الحق، ساء ذلك أعداء الله على اختلاف نحلهم، فاليهود الذين كانوا يرقبون بعثته ﷺ، كفروا به وأنكروا نبوته وناوؤه، والفرس والروم رأوا في دعوته تهديدًا لسلطانهم الظالم، فناصبوه العداء، ومن بعد ذلك جحافل التتر الجرارة التي اكتسحت رقعة واسعة من بلاد الإسلام، ثم الحملات المتكررة للصليبيين الحاقدين على بلاد الإسلام، والتي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا بصور متنوعة، كل هؤلاء وغيرهم حاربوا دين الله عز وجل وما زالوا، وقد لجأوا إلى أساليب خبيثة في ذلك الصراع منها تظاهر بعضهم بالدخول في الإسلام حتى يكيد له من داخله، وهؤلاء شر الأصناف وضررهم أعظم الأضرار،ومن هؤلاء الذين زينوا

لجهال هذه الأمة الشرك من جديد في ثوب التعظيم للمقبـورين من الصـالحين، كما هو واقع مشـــهور عند كثـــير من المنتســـبين للتصـــوف، وعبـــاد القبـــور من الجهـــال الموجـــودين في معظم أقطـــار الإســـلام، فهؤلاء قد بدلوا دين الله تعالى، وأحيـوا ميتًا من الشـــرك، وبعثـــوه من جديد ينخر في جسد الأمة مبعـــــــدًا لها عن دين الله عز وجـــل، وقد حســنوا ذلك للعــوام بوســائل متعددة كبناء القباب على القبـور وتزويقهـا، وإيقاد السرج وغير ذلك، وجعلـوا لها سـدنة هم في حقيقة أمرهم كهنة للأوثان، يغــرون النـــاس بـــدعائها وطلب الحـــوائج منهـــا، واخـــترعوا الحكايـــات العجيبة الـــتي تـــبين قـــدرتهم المزعومـــة، وإمكانـــاتهم الخارقـــة، فـــأغروا النـــاس بـــذلك، وألفـــوا لهم الكتب ودبجوا لهم القصائد، ووضـعوا لهم أحـاديث مختلفـــة، كل ذلك لإغـــرائهم وتـــزيين الكفر لهم قبحهم الله تعالى.

ثم إن هـــذا الـــداء قد استشـــرى وعم معظم أقصـــار الإســـلام إلا ما نـــدر، ولم ينج ذلك القليل إلا بفضل الله تعالى، ثم بجهـــود

الصــالحين من العلمــاء العــاملين وغــيرهم ممن حفظ الله بهم الدين، وأتم بهم المنــة، غير أن عامة البلدان قد فتك بها هــذا الــداء الوبيل فتكًا ذريعًا حــــــــــتى أفضى الأمر بــالكثيرين منهم إلى الوقــوع في الشــرك الصريح الناقل عن الملــة، فطلبـوا الحـوائج من غـير اللـه، ولجـأوا إليه في جلب النفـع، ودفع الضـــر،وتجـــاوز الأمر ذلك حـــتى بلغ ببعضهم إلى درجة تعظيم شـجرة أو حجـر، وعـــــــــادوا كما كــــــــان أهل الجاهلية الأولى،وشـــدت الرحـــال إلى الأضـــرحة، واكتظت خزائنها بـــالأموال،وكـــثر عنـــدها الاختلاط، وضـــجوا بالصـــريح يســـتغيثون بالمقبورين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إن بعض مـــــدعي العلم قد زين لهم مثل هذه الشركيات وحسنها لهم وشـجعهم عليها مما شـــجع العامة على الوقـــوع فيها انخـــداعًا بأدعيـــاء العلم هـــؤلاء، حـــتى لقد انقسم المنتســـبون إلى العلم بـــإزاء تلك الشركيات ثلاثة أقسام:

الأول: مؤيد لتلك الشـــريكات مشـــجع عليهــا، داع إليهــا،مؤلف في نصــرة مذهبه لذلك: ولا سـيما إن كـانت لهم منـافع مادية من وراء ذلك.

الثاني:عالم بضـلال هـؤلاء ، وبطلان ما هم عليه، لكنه كـاتم للحق جبنًـا، أو رغبة أو رهبة أو غير ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الثالث: عالم بالحق، صادع به، قائم في محاربة هــذه البــدع الشــركية والخرافــات العقدية يدعو النـاس إلى التوحيد الصـافي، وإلى ما كان عليه رسـول الله ﷺ، وأصـحابه وتـابعوهم، لا يخـاف في الله لومة لائم، ولا يرجو إلا وجه الله عز وجل.

وهم قلة رغم اختلاف مــــــــذاهبهم في الفروع حتى ظهر من كل المــذاهب الأربعة من نصر الـــدين وحـــذر من الشـــرك ودعا الناس إلى التوحيد.

وقد قـــدمنا طرفًا من كتـــاب مســـتقل، يوضح طرفًا من جهود بعض علمــاء الحنفية في التحذير من الشرك ووسـائله، وها نحن نقدم اليوم بعضًا من جهـود علمـاء المالكية في هــذا المضــمار، ثم نتبعه إن شـــاء الله

تعالى ببيان جهود علمـاء الشـافعية حسـبما ييسر الله - تعـــالى - ما كـــان في الوسع المزيد.

المالكية هم المنتســبون في الفـــروع إلى إمام المدينة مالك بن أنس رحمه الله.

وهــــــو:مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني الحمـيري، إمـام دار الهجرة، أحد رؤساء المتقين وكبير المثبـتين [1]، وأحد الأئمة الأربعة المتبـــــــــوعين المشهورين، مولده ونشـأته ووفاته بالمدينة النبويـــة، وكــان رحمه الله صـــلب الـــدين، متباعـــدًا عن الـــولاة والســـلاطين،صـــداعًا بـالحق لا يخـاف في الله لومة لائم، وكـان جامعًا بين الفقه العميق والنظر الثـــــاقب والدراية التامة بحـديث النـبي مهيبًا عالمًا ثبتًـــــــا، «وقد اعتد في مذهبه بعمل أهل المدينة حيث اعتبر أنهم متمسكون بما رأوا عليه آباءهم وأجدادهم الذين صـحبوا النـبي ، وعـاينوا أحواله وقلـدوه في أمـور دينـه،

---

[1] (?) تقريب التهذيب (2/223/859).

فاعتـــدل كـــذلك بما هم عليه من أمـــور الدين»[1].

وقد انتشر مذهبه في كثـــير من أقطـــار أفريقيا والأنــدلس وغــرب إفريقيــا،وما زال المــذهب الرســمي في عــدد من أقطــار الإســلام حــتى يومنا هــذا، وقد تــوفي رحمه الله بالمدينة ســـنة 179 هــــ بعد أن بـــذل معظم ســني حياته لخدمة الــدين، بفروعه المتعددة رحمه الله وأجزل مثوبته [2].

وقد قســـــمت الموضـــــوع إلى أربعة مباحث:

الأول: تعريف الشرك عند بعض علمــاء المالكية.

الثـــاني: أنـــواع الشـــرك عند علمـــاء المالكية.

الثالث: وسائل الشرك الــتي حــذر منها علماء المالكية لحماية جناب التوحيد.

---

1 (?) انظر مقدمة ابن خلدون ص (447) دار إحياء التراث العربي.

2 (?) لترجمته انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (8/43: 121) تهذيب التهذيب لابن حجر (10/5: 9)،طبقات الحفاظ للسيوطي (ص 95: 96).

الرابع:نماذج من الشرك التي حذر منها علماء المالكية.

والله أســأل أن ينفع بهــذا الكتــاب وأن يجعله خالصًــا لوجهه الكــريم، ويتقبله مــني وهو حســبنا ونعم الوكيــل،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء المالكية

قال القاضي عياض: في مشارق الأنوار مادة (ش ر ك): ذكر الشـركة بفتح الشـين وكسر الــراء،والشــرك في الــبيع وغــيره معلوم، وقوله فيه شـرك بكسر الشـين من الاشـتراك والشـرك والشـركة والاشـتراك واحد، والشرك أيضًا النصيب، والشرك أيضًا الشـــــريك قاله الأزهـــــري في تفســــير: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَـاءِ**﴾ فأشـركته في ماله كــذا لهم، يقــال:شــركته وأشــركه وأشركته وأشركه. اهـ [1].

وقــال ابن عاشــور: في بيــان معــنى الشرك اصطلاحًا:«إشراك غـير الله مع الله في اعتقاد الإلهية وفي العبادة»[2].

وقال ابن عطية: «الذين كفـروا في هـذا الموضع هم كل من عبد شــيئًا ســوى الله قال قتادة: هم أهل الشرك خاصة»[3].

---

1 (?) مشارق الأنوار (2/248).
2 (?) التحرير والتنوير 7/332.
3 (?) المحرر الوجيز 6/3.

قال الميلي المالكي: «وكما لا تقتضي الشركة لغة تساوي الشركاء في الحصص،لا يقتضي الشرك شرعًا مساواة الشريك لله في جميع صفاته أو في صفة منها بل يمسى المرء مشركًا، عند الشارع بإثباته شريكًا لله ولو جعله دونه في القدرة والعلم مثلاً، فأما حكايته تعالى عن المشركين قوله: ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [1]. فالتسوية قولهم فيه تسوية في الطاعة والانقياد، لا في القدرة على الخلق والإيجاد، فهي كآية البقرة: ﴿**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ .

إن الله جل وعلا، لا يقبل أن يشرك به الأبرار ولا الفجار، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا يرضى شركة عظيم في القدرة والمنزلة، كمن أنعم عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا شركة عظيم في الخلق والحجم، كالشمس والقمر،وسائر الكواكب،وقد رد القرآن كل شر، كيفما كان اعتباره من القوة والضعف.

1 (?) سورة الشعراء: الآيتان: 97، 98.

قال تعالى: ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾، ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾، ﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾، ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾، هذا بياننا للشرك الشرعي، فإن كان فيه طول فإنا نقصد فيما نبسط إفهام العامة وإفحام المعاندين»[1].

ولقد عرف الإمام مالك الطاغوت بأنه: «كل ما عبد من دون الله»[2].

والطاغوت هو كل ما طغا وتجاوز الحد، ونعلم أن الإسلام لا يصح للعبد إلا بأن يكفر بالطاغوت أولاً، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ**

---

1 (?) رسالة الشرك ص (64-65).

2 (?) فتح المجيد ص 566.

لَهَا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُـولًا أَنِ اُعْبُـدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُـوا الطَّاغُوتَ**﴾[2]، فلا بد للمســـــلم أن يكفر أولاً بكل طـاغوت معبـود من دون اللـه، أو مطاع في معصية الله أو متحـاكمٍ إليه دون حكم الله، أو معظم دون اللـه، فهـذا الكفر بالطـاغوت ينبغي تحقيقه قبل الإيمـان بالله تعـــالى إذ محـــال أن يجتمع إيمـــان بالله وبالطاغوت في قلب إنسان.

بل إن هذه الطواغيت تـأتي يـوم القيامة فتتــبرأ من عبادها الــذين عبــدوها من دون الله كما قـــال تعـــالى: ﴿**إِذْ تَبَـــرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَـذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**﴾[3].

فالواجب على المسلم الكفر بالطـاغوت والبراءة من أهله ومعاداتهم وبغضـهم حـتى يرجعوا إلى الله تعالى ويتوبوا إليه بالإسلام، كما قـال تعـالى على لسـان إبـراهيم عليه الســلام إذ قـــال لأبيه وقومـــه: ﴿**إِنَّا بُـــرَآءُ**

---

1 (?) سورة البقرة، الآية: 256.
2 (?) سورة النحل، الآية: 36.
3 (?) سورة البقرة، الآية: 166.

مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُـــــــدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَـدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَـدَاوَةُ وَالْبَغْضَـــاءُ أَبَـــدًا حَتَّى تُؤْمِنُـــوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[1].

فمن خلال كلام الإمـــام مالك رحمه الله يتضح أن الطاغوت عنده يشـمل كل ما عبد من دون الله فـالهوى طـاغوت،والشـيطان طاغوت، والشجر المعبود طاغوت، والحجر طاغوت والحاكم المبدل طاغوت، ومن أمر النــاس بطاعته في معصــية الله طــاغوت، وهكــذا كل ما عبد من دون اللـــه، غــير أن مالكًا رحمه الله قيــدها في بعض الروايــات فقال، (وهو راض) حتى لا تشمل من عبدوا دون رضــاهم: كالمســيح، وأمـــه، والعزير ، وغيرهم عليهم السلام.

---

1 (?) سورة الممتحنة، الآية: 4.

المبحث الثاني
أقسام الشرك عند بعض المالكية

والشـــــــــــــــــرك هو ضد التوحيد كما سـلف،فـالواجب على المسـلم أن يعـرف الشـرك بأنواعه الأكـبر والأصـغر، الظـاهر والخفي، حتى يتجنبها كلها فيسـلم له دينـه، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة هذه الأنـواع والحـذر منها ومن منافـذها ومـداخلها، وسد الطـرق الموصلة إليها.

قال الإمام الحافظ ابن العربي المالكي: الشـــرك على أقســـام، ويعـــود ذلك إلى قســـمين:قسم في الاعتقـــاد، وقسم في العمل، فـإن كـان الشـرك في الاعتقـاد [1]،

---

[1] (?) كاعتقاد وجود إله مكافئ لله تعالى، أو اعتقاد ربوبية غيره، أو اعتقاد شبيه له في أسمائه وصفاته , وأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف والتدبير واستحقاق العبادة وغير ذلك والأدلة أكثر من أن تحصى كقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [سورة الشورى، الآية: 11].

فلا خلاص ولا قصاص، وإن كان الشرك في العمل [1] رجي الخلاص»[2].

قال الميلي المالكي: «وأقسام الشـرك، قد اسـتوفتها آية سـبأ، قـال تعـالى: ﴿**قُـلِ ادْعُـــوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُـونَ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ فِي السَّـمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِـرْكٍ وَمَا لَـهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِـيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾. فجعلت الآية أقسام الشـرك أربعـة، ونفتها كلها، ولنضع لكل قسم اسمًا يمتاز به:

الأول:شـرك الاحتيـاز، فنفي سـبحانه أن يكـون غـيره مالكًا لشـيء يسـتقل بـه، ولو كـان في الحقـارة مثقـال ذرة في العـالم العلوي، أوفي العالم السفلي [3].

---

1 (?) ليس كل شرك في العمل يرجى الخلاص من وباله، إذ أن صرف العبادة لغير الله تعالى هو شرك في العمل، لكنه يقوم على أساس شرك في الاعتقاد، وهذا لا يرجى منه الخلاص، ولعل الشيخ رحمه الله يقصد أمور الشرك الأصغر غير المكفرة: كالحلف بغير الله، أو يسير الرياء وغير ذلك، وبهذا فلا إشكال في المسألة.

2 (?) عارضة الأحوذي (10/106).

3 (?) كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ [سورة فاطر]. وكما قال

الثاني: شرك الشـياع، فنفى سـبحانه أن يكون لغيره نصيب يشـاركه فيه كيفما كـان هذا النصيب، في المكان والمكانة [1].

الثالث [2]: شرك الإعانة، فنفى جل شأنه أن يكون له ظهير ومعين من غـير أن يملك

تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**﴾ [سورة الفرقان، الآية: 3]، وكما قال تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ [سورة النحل، الآية: 73]، وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا**﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 17].
قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «تيسير الكريم المنان» (4/221) عند الآية (73) من سورة النحل: (يخبر الله تعالى عن جهل المشركين وظلمهم أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقًا من السموات والأرض، فلا ينزلون مطرًا، ولا رزقًا، ولا ينبتون من نبات الأرض شيئًا، ولا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض، ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل به وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرون، فهذه صفة آلهتهم كيف جعلوها مع الله وشبهوها بمالك الأرض والسموات، الذي له الملك كله والحمد كله، والقوة كلها) اهـ.

[1] (?) كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ [سورة البقرة، الآية: 165] فلا يوجد مخلوق يشارك الله تعالى في شيء لا في أفعاله، ولا صفاته، ولا حقوقه ولا غير ذلك،وبما أنه المنفرد بالخلق، فإنه

معه، كما يعين أحدنا مالك متاع، على حمله مثلاً.

الرابع (1): شـرك الشـفاعة، فنفى تعـالى أن يوجد من يتقـــدم بين يديه يـــدل بجاهه ليخلص أحدًا بشـفاعته، فهو تعـالى لم يقبل

المتفرد بالملك والأمر والتصريف واستحقاق العبادة، كما قال تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأعراف، الآية: 54].

[2] (?) كما قال تعالى: ﴿**وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**﴾ [سورة سبأ، الآية: 22]، فليس لله تعالى ظهير ولا معين في تصريف ملكه، فإن الملوك المخلوقين هم الذين يستعينون بغيرهم في إدارة شؤون ملكهم لعدم قدرتهم على الانفراد بتدبيره غير أن هذا منتف في حق الله تعالى، بل إن وجود هذا الشيء علامة نقص، وصفته ، والله تعالى متفرد بصفات الكمال،متنزه عن صفات النقص.

[1] (?) كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 28]، وقال: ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ [سورة الزمر، الآية: 44]، وقال: ﴿**وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سورة سبأ، الآية: 23]، فإن الملوك المخلوقين إنما يقبلون شفاعة الشافعين لحاجتهم إليه في تدبير أمر ملكهم وتصريفه، ولا يحبون ردها خوفًا من فقد ود الشفعاء ومعونتهم لكن الله تعالى مستغن عن الظهير والمعين، متفرد بالخلق والتكوين والتدبير والتصريف، لهذا لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له،أما غير ذلك فلا فالشفاعة إذًا ملك لله تعالى،وهو الآذن فيها، وهكذا نرى أن الآية اشتملت على نفي الشرك بجميع صوره ودرجاته فسبحان الله.

من أقسام الشركة حتى أضـعفها وأخفاهـا، وهي الشـركة بالجـاه في تحصـيل السـلامة والنجـــاة، إلا بعد الإذن للشـــفيع، وتعـــيين المشفوع له، وحينئذ لا تكـون في الشـفاعة رائحة الشـــركة، بل الشـــفاعة كغيرها من وجوه النفع، هي: لله وحده، ولم يخـرج عن الآية شـــيء من أقســـام الشـــركة، لأن الشريك إما في الملـك، وإما في التصـرف. **والأول**: إما أن يختـــار قســـطه، وإما أن يكون على الشياع. **والثـاني**: إما أن يعـني المالـــك، وإما أن يعين أحـــدًا عند المالـــك، فتلك الأقســـــــام الأربعة مرتبة ترتيبها في الآية، وتلك الأقسام على ظهورها من الآية، لم أر من أعرب عنها هذا الإعراب.

بعد هــذا البيــان نلحظ أن الشــيخ رحمه الله لم يعـــــرج على الكلام عن شـــــرك الألوهيـــــــة، وتوحيد الألوهية هو أصل دين الإسـلام، وهو الـذي وقعت لأجله الخصـومة بين الرسل وأقــوامهم، وهو الــذي به بعثت جميع الرسل كما قــال:﴿**وَمَا أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا**

إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [سـورة الأنبيـاء، الآيـة: 25].

وهـذا قصـور منه رحمه الله تعـالى حيث اهتم ببيـــان الشـــرك فيما يتعلق بـــأمر الربوبيـــة، وأهمل الكلام عن الشـــرك في الألوهية والعبادة، وكان الأولى التركيز عليه حيث إن شرك عامة الأمم في باب الألوهية وليس الربوبية.

المبحث الثالث
سد الذرائع الموصلة إلى الشرك عند علماء المالكية

قبل أن نشرع في بيان الذرائع الموصلة إلى الشرك عند علماء المالكية نبين معنى الذرائع كما هي في كتبهم.

قال الشاطبي: «حقيقة الذرائع التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة »[1].

وقال القرطبي: «الذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع»[2].

وجاء عن الإمام مالك: وبعض أتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك، كتجصيص القبور [3]، وتعليتها [4]، والكتابة

---

1 (?) الموافقات: (4/198).

2 (?) تفسير القرطبي 2/58.

3 (?) لما أخرجه مسلم وغيره قال: «نهى رسول الله عن تجصيص القبر،وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع المدونة 1/189، كتاب الكافي لابن عبد البر 1/283، وتنوير المقالة 3/40، والثمر الداني 230، وتفسير القرطبي 10/380.

4 (?) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: نهى رسول الله عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه بناء. ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وأتباعه من هذه القضايا

عليها [1]، والبنــاء عليها [2]،واتخاذها مســاجد [3]، واســتقبالها للــدعاء [4]، والســجود عليها [5]،والصلاة عليها [6]، وشد الرحــال إلى غـير المساجد الثلاثة [7].

راجع المدونة 1/189، وتنوير المقالة 3/40، والثمر الداني ص 320، وتفسير القرطبي 10/380-381.

1 (?) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي : «نهى أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها» ولمعرفة موقف الإمام مالك رحمه الله وكثير من أتباعه راجع فتح المجيد ص 323.

2 (?) لما أخرجه مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه بناء. ولمعرفة موقف مالك وأتباعه راجع المدونة 1/189، المعيار المعرب 1/317، 318، وتنور المقالة 3/39، والثمر الداني 231، وتفسير القرطبي 10/379-380، فتح المجيد ص323، تيسير العزيز الحميد ص 323، 324، والكافي لابن عبد البر 1/283.

3 (?) قال النبي : «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**، يحذر ما صنعوا» متفق عليه،وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد أفلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**» أخرجه مسلم وغيره.

ولمعرفة موقف المالكية في التمهيد 1/168، 5/45، والمنتقى 7/195، تفسير القرطبي 10/380، شرح موطأ مالك للزرقاني 4/233، 12/351، وتيسير العزيز الحميد ص 340، والمنتقى 1/306-307.

4 (?) أخرج مسلم وغيره أن النبي قال: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا عليها**».

قال القرطبي: «التمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل في رواية عنه وقد دل على هذا الأصل الكتاب والسنة»[1].

وقال كذلك: «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها،وجعلوها محدقة بقبره، ، خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر وحرفوهما حتى التقيا على

ولمعرفة موقف المالكية راجع لكتاب صيانة الإنسان ص264، وفتح المنان ص 358-359، وتيسير العزيز الحميد ص 358.

5 (?) ولمعرفة موقف المالكية راجع التمهيد 6/383، 1/167، 5/45.

6 (?) أخرج مسلم وغيره أن النبي، قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها**» ولمعرفة موقف المالكية راجع: مقدمة ابن رشد ص174، والتمهيد 1/167، 5/25، 6/283، وتفسير القرطبي 10/379.

7 (?) لقول النبي : «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد** ..».

ولمعرفة موقف المالكية ارجع إلى المعلم 12/82، وشرح الزرقاني لمختصر خليل 3/93، وتيسر العزيز الحميد 361، وشرح الزرقاني للموطأ 1/224 - 225.

1 (?) تفسير القرطبي 12/57-58.

زاوية مثلثة من ناحية الشـــمال حـــتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره»[1].

وقـال الإمـام مالـك: «أكـره تجصـيص القبـور والبنـاء عليها وهـذه الحجـارة الـتي يبنى عليها»[2].

وقال ابن أبي شامة: «كان مالك وغـيره من علمـــاء المدينة يكرهـــون إتيـــان تلك المســاجد وتلك الآثــار في المدينة ما عــدا قباء وأحد»[3].

وقال ابن عبد الباقي في شرح الموطـأ: «روى أشـهب عن مالك أنه كـره لـذلك أن يــدفن في المســجد قــال: « وإذا منع من ذلك فســائر آثــاره أحــرى بــذلك وقد كــره مالك طلب موضع شـــجرة بيعة الرضـــوان مخالفة لليهود والنصارى»[4].

---

1 (?) قرة عيون الموحدين ص 136.

2 (?) المدونة 1/189.

3 (?) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص 96- 97،وكتاب ابن وضاح رقم 113.

4 (?) تيسير العزيز الحميد ص 340.

وقال القرطبي: «وقال علماؤنا وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»[5].

وقال ابن رشد: «إن فات- يعني صلاة الجنازة - لم يصل عليه لئلا يكون ذريعة الصلاة على القبور وهو مذهب أشهب وسحنون»[2].

وقال ابن رشد كذلك: «كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة»[3].

قال القرطبي: في شرح حديث النبي : «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها»، أي لا تتخذوها قبلة، فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذر النبي عن مثل ذلك، وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك [4].

---

5 (?) تفسير القرطبي 10/380.

2 (?) مقدمة ابن رشد ص 174.

3 (?) فتح المجيد ص 323، ولعله يقصد ما يسمى اليوم بشاهد القبر وهو رخام يكتب عليه اسم الميت وتاريخ وفاته وغير ذلك. والله أعلم.

4 (?) تفسير القرطبي (10/380).

إلى أن قال: «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كان في الجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا، فذلك يهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة وتشبهًا بمن كان يعظم القبور ويعبدها»[1].

وقال الإمام مالك: «لا أرى» أن يقف عند قبر النبي، ﷺ، يدعو ولكن يسلم ويمضي. ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط، وإسناده صحيح كما في صيانة الإنسان [2].

وقال أيضًا في المبسوط: «لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي، ﷺ،ويدعو له ولأبي بكر وعمر».

قيل له: فإن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع، ولا يصلح آخر

---

1 (?) تفسير القرطبي (10/381).

2 (?) ص 264 فتح المنان ص 358.

هـذه الأمة إلى ما أصـلح أولها ولم يبلغـني عن أول هـــذه الأمة وصــــدرها أنهم كـــانوا يفعلون ذلك،ويكره إلا لمن جـاء من سـفر أو أراده [1].

وأما الحكاية التي ذكرها القاضي عيــاض عن محمد بن حميد قـال: «نـاظر أبو جعفر المنصـور أمين المؤمـنين مالكًا في مسـجد رسـول اللــه، ، قــال له مالــك: يا أمــير المؤمنين لا ترفع صوتك في هـذا المسـجد، فــإن الله تعـــالى أدب قومًا وقـــال: **لَا تَرْفَعُـوا أَصْـوَاتَكُمْ فَـوْقَ صَـوْتِ النَّبِيِّ**[2].

ثم قال: «فهـذه الحكاية على هـذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو محرفة»[3].

أما الحكاية الــتي رواها القاضي عيــاض بإسـناده عن مالك في قصـته مع المنصـور وأنه قـــال لمالـــك: يا أبا عبد الله أســتقبل القبلة وادعـوا، أم أسـتقبل رسـول الله ؟ قال: ولم تصرف وجهك عنـه، وهو وسـيلتك

---

1 (?) فتح المنان ص 358.
2 (?) سورة الحجرات، الآية: 2.
3 (?) انظر: صيانة الإنسان ص 255، وفتح المنان ص 359.

ووسـيلة أبيك آدم إلى الله يـوم القيامة بل استقبله، واستشفع به يشفعه الله فيك [1].

قـال صـاحب تيسـير العزيز الحميـد: «فهذه الرواية ضعيفة أو موضـوعة لأن في إسنادها من يتهم محمد بن حميد»[2].

* وأما ما روى ابن زبالة وهو في أخبـار المدينة عن عمر بن هـارون عن سـلمة بن وردان وهما سـاقطان قـال: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي، ، ثم يسـند ظهـره إلى جـدار القـبر ثم يـدعو[3] فـالرجلان ساقطان كما في تيسير العزيز الحميد.

وأما الحكاية في تلاوة مالك هـذه الآيـة: ﴿**وَلَـوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُـوا أَنْفُسَـهُمْ**﴾[4] فهو والله أعلم باطل، فإن هـذه لم يـذكرها أحد من الأمة فيما أعلم، ولم يـذكر لأحد منهم أنه اسـتحب أن يسـأل بعد المـوت لا اسـتغفارًا ولا غـيره، وكلامه المنصـوص

---

1 (?) تيسير العزيز الحميد ص358.

2 (?) تيسير العزيز الحميد ص358.

3 (?) تيسير العزيز الحميد ص 359.

4 (?) سورة النساء، الآية: 64.

وأمثاله ينافي هذا، قال صاحب فتح المنان [1].

وقال القرطبي: «وأما السنة فأحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عائشة - رضي الله عنها - أن أم حبيبة وأم سلمة - رضي الله عنهن - ذكرتا كنيسة رأياها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك لرسول الله، ، فقال رسول الله : «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فما بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**» أخرجه [2] البخاري ومسلم.

قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله - عز وجل - عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم أنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم

1 (?) ص 360.

2 (?) أخرجه البخاري (3/247) ح 1341، في الجنائز باب بناء المسجد على القبر ومسلم (1/375) ح (528) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصـورة فعبـدوها، فحـذر النـبي عن مثل ذلـك،وشـدد النكـير والوعيد على من فعل ذلك [1].

وقال ابن الحـاج في المـدخل: «لا يجـوز الطـواف حـول الأضـرحة فإنه لا يطـاف إلا بـالبيت العـتيق وكـذا لم يشـرع التقبيل والاستلام إلا بالبيت العتيق وكـذا لم يشـرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود»[2].

وقـال الطرطوشـي: «وروى محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أمر بقطع الشجرة الـتي بويع تحتها النـبي لأن النـاس كـانوا يـذهبون تحتها فخـاف عمر الفتنة عليهم...

قـال: وكـان مالك وغـيره من علمـاء المدينة يكرهـون إتيـان تلك المسـاجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد»[3].

وقـال الطرطوشـي: «قـال عمر بن الخطاب إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا

---

1 (?) تفسير القرطبي 2/58.

2 (?) المدخل كما في المشاهدات المعصومية ص 73.

3 (?) كتاب الحوادث والبدع 294-295.

كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخـذونها كنـائس وبيعًا فمن أدركته الصـــلاة منكم في هـــذه المساجد فليصل ومن لم تدركه فليمض ولا يتعمدها»[1].

1 (?) كتاب الحوادث والبدع 308-309.

المبحث الرابع
نماذج من الشرك التي حذر منها علماء المالكية

جاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر ودعاء غير الله [1] والاستغاثة بغـير الله [2]، والنـذر

1 (?) لقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [سورة غافر، الآية:60]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ**﴾ [سورة الأحقاف، الآية: 5]. وقول النبي ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**» وللمزيد من التعرف على أقوال المالكية انظر: رسالة الشرك الميلي (ص 192). التحرير والتنوير 24/181، 26/11.

2 (?) قال تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ**﴾ [سورة الأنفال، الآية: 9]، وقال: ﴿**وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آَمِنْ** ...﴾ [سورة الأحقاف، الآية: 17]، التحرير والتنوير 9/274-275 /26-39.

لغـير الله [1]، والـذبح لغـير الله [2]، واعتقـاد أن الأوليـاء لهم تصـرف في الكـون مع الله [3]، أو اعتقـــاد أن أحـــدًا يعلم الغيب [4]، أو الحلف بغير الله [5]، أو اعتقـاد أن للكـواكب

---

1 (?) وقال تعالى: ﴿**وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ**﴾ [سورة الحج، الآية: 29]، فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى، التحرير والتنوير 17/248، وانظر تيسير العزيز الحميد ص (207)، رسالة الشرك للميلي ص(268)، ولا يجوز النذر لولي أو نبي أو غيرهما، وإلا فإن هذا شرك لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى، لا كما يفعله كثير من الجهال بالنذر لقبر البدوي أو الحسين، أو الجيلاني أو غيرهم، فإن هذا شرك بالله تعالى ولا يسوغ أي تأويل لذلك الفعل أو محاولة التلاعب باللفظ والقول بأن « النذر لله والثواب للولي» فهذا كلام باطل لا يستجيزه عقل صريح.

2 (?) لقوله تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [سورة الكوثر، الآية: 2]. وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأنعام، الآية: 162]، فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله وعلى اسم الله، ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

وانظر: مختصر خليل (3/130)، وتفسير القرطبي (2/224) التحرير والتنوير (30/574).

3 (?) وهذا شرك في الربوبية وقد نفى الله تعالى كل أنواع التصرف لغيره بقوله: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سورة سبأ، الآيتان 22، 23]. وقد سبق الكلام على هذه الآية

تأثيرًا في إنزال المطر [1] والتوكل على غير الله [2].

قـــال ابن العـــربي: «مقامـــات الغيب الخمسة الـــتي لا يعلمها إلا الله لا أمـــارة عليها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المجتبى لاطلاع الغيب من أمارات الساعة، والأربع سواها لا أمارة عليها، فكل من قال:

بالتفصيل في المبحث الثاني. وانظر: شرح الموطأ للزرقاني (1/347) وشرح الموطأ للباجي (1/334)، والتحرير والتنوير (22/185-191).

4 (?) لقوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾ [سورة الجن، الآية: 26]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [سورة النمل، الآية: 65].

وانظر أحكام القرآن لابن العربي (2/738، 739) وتفسير القرطبي 1/290،ورسالة الشرك للميلي (ص137).

5 (?) لقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» وفي لفظ: «**فقد كفر**» وانظر التمهيد (14/366: 367) وتفسير القرطبي (10/40) وشرح الصغير للدرديري (2/203) وتفسير القرطبي (10/40) و (6/270: 271) والمقدمات لابن رشد (308: 309) وشرح رزق على متن الرسالة (2/15) والمعلم (2/240) شرح الزرقاني على مختصر خليل 3/53، كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي 1/448.

1 (?) المنتقى شرح موطأ مالك 1/334، وشرح الزرقاني لموطأ مالك.

2 (?) لقوله تعالى: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ [سورة الأنفال، الآية: 2] انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 9/259.

إنه يـنزل الغيث غـدًا فهو كـافر، أخـبر عنه بأمـــارات ادعاها أو بقـــول مطلـــق، ومن قال:إنه يعلم ما في الرحم، فهو كافر...

وأما من ادعى علم الكسب في مســتقبل العمر فهو كــافر، أو أخـــبر عن الكوائن الجملية أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون ، فلا ريبة في كفره أيضًا، فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قـال علماؤنا: يؤدب ويسـجن، ولا يكفر أما عـدم تكفـيره فلأن جماعة قـالوا: إنه أمر يـدرك بالحساب، وتقـدير المنـازل حسب ما أخـبر الله سـبحانه في قوله جل وعلا: ﴿**وَالْقَمَـرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ**﴾[1]، لحسابهم له،وإخبـارهم عنه وصدقهم فيه توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم، وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة في تعليق العلم بـــــــــالغيب فتتشــوش عقائــدهم في الــدين وتــتزلزل قواعـدهم في اليقين، فـأدبوا حـتى يسـروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا»[2].

---

1 (?) سورة يس، الآية: 39.

2 (?) أحكام القرآن 2/738-739.

وقال ابن عبد البر: (لا يجوز الحلف بغـير الله - عز وجل - في شيء من الأشـياء، ولا على حــال من الأحــوال، وهــذا أمر مجمع عليه وقد روى ســـعيد بن عبيـــدة عن ابن عمر فيه حديثًا شديدًا أنه سمع رســول الله يقـــول: «**من حلف بغـــير الله فقد أشرك**» ذكره أبو داود [1] وغيره.

وروى محمد بن سـيرين عن أبي هريـرة قــال: قــال رســول الله : «**لا تحلفــوا بآبائكم،ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا باللـه،ولا تحلفـوا بالله إلا وأنتم صادقون**»[2] ..)[3].

---

1 (?) أحمد 2/34-125، والترمذي 4/110، ح 1535، في النذور والأيمان، وأبو داود 3/570، ح 3251، في الأيمان، باب في كراهية الحلف بالآباء، وابن حبان6/278، والحاكم 4/297، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث حسن جميعهم ن طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر مرفوعًا وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير 2/11167 ح 6204.

2 (?) أخرجه أبو داود 3/569 ح 3248، في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا.

3 (?) التمهيد لابن عبد البر 14/366-367.

وقال ابن رشد: «والمحظــورة أن يحلف باللات، والعزى، والطواغيت، أو بشـيء مما يعبد من دون الله تعـــــــــالى لأن الحلف بالشيء تعظيم لـه،والتعظيم لهـذه الأشـياء كفر بالله تعالى»[1].

وقال القرطـبي في تفسـيره لقـول الله تعالى: ﴿**وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾[2] أي ذكر عليه غـــير اسم الله تعـــالى، وهي ذبيحة المجوسي والوثني والمعطل فـالوثني يـذبح للـوثن،والمجوسي للنـار،و المعطل لا يعتقد شـيئًا فيـذبح لنفسـه، ولا خلاف بين العلمـاء أن ما ذبح المجوسي لناره،والوثــني لوثنه لا يؤكل ... ومنه إهلال الصـــبي واســـتهلاله وصــياحه عند ولادتــه، وقــال ابن عبــاس وغـيره:المـراد ما ذبح للأنصـاب والأوثـان .. وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحـة، وغلب ذلك في اسـتعمالهم حـتى عبر عن النية التي هي علة التحريم ألا ترى أن علي بن أبي طــــــالب رضي الله عنه راعى النية في الإبل الـتي نحرها غـالب أبو

1 (?) مقدمات ابن رشد ص 309.
2 (?) سورة البقرة، الآية: 173.

الفــرزدق فقــال:إنها مما أهل لغــير الله به فتركها النـاس، قـال ابن عطيـة:ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه ســئل عن مرأة صنعت للُعَبِهَا عرسًا، فنحـرت جـزورًا، فقال الحسن: لا يحل أكلها فإنها إنما نحرت لصنم [1].

جاء في المدونة كما في شرح الزرقـاني لمختصر خليـل: «سـوق الهـدايا لغـير مكة ضلال»[2].

وقــال الميلي: «دعــاء غــير الله ... فهو شــرك صــريح وكفر قــبيح، وله نوعــان: أحدهما غير الله مع اللـه، كالـذي يقـول : يا ربي، ويا شـــيخي، يا ربي وجـــدي، ياالله وناسه، ياالله وسيدي عبد القـادر، وسـمعت كثـيرًا يحكـون أنهم كثـيرًا مايسـمعون فلانًا يقـــول: يـــاربي يا ســـيدي يوسف اغفر لي،ويوسف هـــذا من أولاد ابن الـــدرويش أحـــدى فصـــائل أولاد العبـــاد ... وإطلاق الشرك على هـذا النـوع واضح لأن الـداعي عطف غـــير الله على الله بـــالواو ثابتة أو

1 (?) تفسير القرطبي 2/223- 224.
2 (?) شرح مختصر خليل للزرقاني 3/130.

محذوفة، وهي تقضي مشاركة ما بعدها في الحكم، والحكم المشترك فيه هنا هو عبـادة الدعاء.

النوع الثاني: دعاء غير الله من دون الله كالـــذي يقـــول:يا رجـــال الدالـــة، يا دوان الصالحين، وإطلاق الشرك على هـذا النـوع باعتبـــــار أن الـــــداعي وإن اقتصر على المخلـوق في اللفظ لم ينكر الله ولم يــبرأ منه في العقد فكـــــــــأن الله في كلامه مضمر»[1].

وقـــــال القاضي أبو بكر بن العـــــربي المــالكي: «قد نهي عن النــذر، ونــدب إلى الدعاء، ويظهر به التوجه إلى الله - تعالى - والتضـرع لـه،وهـذا بخلاف النـذر، فـإن فيه تــأخير العبــادة إلى حين الحصــول،وتــرك العمل إلى حين الضرورة»[2].

قال ابن عبد البر:«يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصـالحين مساجد»[3].

---

1 (?) رسالة الشرك ص 192.

2 (?) تيسير العزيز الحميد ص 207.

3 (?) التمهيد 1/168.

وقال ابن عبد البر: «الوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان، أو من فضة، أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنمًا كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله، ، على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم: كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقال : «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا**» يصلى إليه، ويسجد نحوه، ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله يحذر أصحابه، وسائر أمته الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدًا كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها، وذلك الشرك الأكبر فكان النبي ، يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنها ممالا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم »[1].

وقال الميلي: «مساواة هذه الأمة لمن قبلها في حكم السنن الإلهية:

---

1 (?) التمهيد 5/45.

إن ما وقع فيه العـــــرب ومن قبلهم يقع فيه غيرهم بعدهم إذا ما جهلوا مثلهم أصول الدين، وبالغوا في التبرك بالصـالحين، فـإن الله يقول:﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ وعلماء الاجتمـاع يقولـون: "التـاريخ يعيد نفســه". والمتكلمون يحكمـون بـأن: "ما جـرى على المثل يجري على المماثل" فإذاكان مجموع المسـلمين قد انتهـوا في الـدين إلى جهالة المشـركين، فمحاولة تـبرئتهم من الشــرك غش وتضليل وجحد للشريعة وتعطيل.

صور من الوثنية الحاضرة:

ألست ترى في أوساطهم قبابًا تبذل في شيدها الأمـوال، وتشد لزيارتها الرحـال، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغـائبين والأمـوات ؟ أم لم تعلم بـدور تنعت بدار الضمان تستري ضمانتها بالأثمان ؟ أملم تجتمع بذرية نسب للمـــــــرابطين إعطاؤها بقـــوة غيبية . أم لم تتكـــرر عليك منـاظر مكلفين إبـاحيين يقدسـون صـفتهم مـرابطين أو طرقـيين هـذا إلى اجتماعـات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الـزردات، أو

تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدَّت الناس عن اتباع السنة المطهرة، والخبير بحياة أهل عصره العالم بأصول دينه لا يتردد في ظهور الشرك وانتشاره،وتعدد مظاهره وآثاره »[1].

وقال: وإذا قيل للناس أن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثان، قالوا إنكم تسبون الصالحين! يا إخواننا افهموا لغة العرب والدين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن على الأولياء، فإن كل ما نصب ليعبد من دون الله فهو وثن أو صنم، وكل من عبده فهو هالك، وليس كل معبود من دون الله هالكًا، قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آَلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾ فتلك المزارات والضرائح من الأوثان وإن كانت منسوبة إلى ولي صالح.

تعيين مكان في النذر:

[1] (?) رسالة الشرك للميلي 108.

وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعيـاد الجاهليـة، فلو فرضـنا أحـدًا نـذر لها شيئًا فهو عاص بالوفـاء به فـإن أضـاف إليه التقرب من صاحبها فهو مشرك.

وقد أصبح الناس في جاهليتهم الحاضـرة ينــذرون لمن يعتقــدون فيه من الأحيــاء والأمــوات والمــزارات، الأمــوال والثيــاب والحيوانــات والشــموع والبخــور والأطعمة وســائر المتمــولات، ويعتقــدون أن نــذرهم ســبب يقــربهم من رضى المنــذور له وأن لذلك المنذور له دخلاً في حصول غرضـهم، فــإن حصل مطلــوبهم ازدادوا تعلقًا بمن نــذروا له واشــتدت خشــيتهم منــه، وبــذلوا أقصى طاقتهم في الاحتفال بالوفاء له، ولم يستسيغوا لأنفسهم التقصير أو التــأخير كما استساغته جاهلية العرب في تعــويض الغنم بالظباء. فالعرب مع أصـنامهم أقل هيبة من هـؤلاء مع أوليـائهم، وإن تسـاوى الفريقـان في حق من ألهوه أكثر من اعتبـار حق الإله الحق، ذلك أن جاهليتنا على شــدة اهتمامها بحق أوليائها منها من لا يبــــــالي مع ذلك بالصـلاة أو بالزكـاة أو بهما معًـا،ومن صـلى وزكى لا ينكر على تاركهما ما ينكــــره على من تراخى في زيارة شيخ طريقة، أو إقامة زردة أو أداء وعدة، وكذلك ما حكاه القـرآن

عن العرب في آياته: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ**﴾[1] ...)[2].

وقال: «إن الرزية كل الرزية، والبلية كل البليـــــة، أمر غـــــير ما ذكرنا من التوسل المجـرد، والتشـفع بمن له الشـفاعة، وذلك ما صـــار يعتقـــده كثـــير من العـــوام وبعض الخـواص في أهل القبـور وفي المعـروفين بالصلاح من الأحيـاء من أنهم يقـدرون على مالا يقدر عليه إلا الله، جل جلاله، ويفعلـون ما لا يفعله إلا الله عز وجـل، حـتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصــاروا يـــدعونهم تـــارة مع الله وتـــارة اســـتقلالاً، ويصـرخون بأسـمائهم، ويعظمـونهم تعظيم من يملك الضر والنفـــع، ويخضـــعون لهم خضوعًا زائـدًا على خضـوعهم عند وقـوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء»[3].

وقال: «وقد يعبرون عن هذا الضرب من التـــبرك بالاســـتمداد من أرواح الصـــالحين، ويعتقـــــدون أنهم أحيـــــاء في قبـــــورهم، يتصـــرفون في العـــالم، ويقضـــون حاجـــات قاصـديهم، ويسـتدل مسـتدلهم بما ورد في حيـاة الأرواح مما قـدمنا أصـحه وأصـرحه،

---

1 (?) سورة الأنعام، الآية: 100.

2 (?) رسالة الشرك للميلي ص 268.

3 (?) رسالة الشرك للميلي ص 268.

فيتخــذون المــزارات يبنــون عليها البنــاءات ويرون أن روح الصالح فلان هنالـك، إما لأنه دفن هنالك أو جلس بــــه، بل تجد بنـــاءات كثــيرة على مــزارات عديــدة كلها منســوبة للشــيخ عبد القــادر الجيلاني دفين بغــداد - رحمه الله - وهو لم يعــرف تلك الأمكنة ولا سمع بها، وهــذه المــزارات الجيلانية تجــدها غــربي وطن الجزائر أكــثر منها في شــرقه، أما أن يكــون للصــالح الواحد قــبران فهــذا نعرفه لغير الصالح وأشهرهم بوطننا الشـيخ محمد بن عبد الـــــرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية بمغربنا. ومن مظاهر هذا التــبرك الاســــــتمدادي تقبيل الجــــــدران والمسح بالحيطـــــــان وكل ما يضـــــــاف على ذلك المكان»[1].

وقـــــال: «نهى الرســــول ﷺ عن الحلف بالمخلوق فـأبى أكـثر النـاس إلا الحلف بـه، وأغلط في النهي حــتى بلغ به نهي الشــرك والكفر فـأجروا هـذه اليمين على ألســنتهم أكـثر من اليمين باللـه. وأمر من حلف بالله أن يصـــدق. فتلاعبـــوا بـــاليمين الشـــرعية واحترموا اليمين الشركية»[2].

---

1 (?) رسالة الشرك للميلي ص 244.

2 (?) رسالة الشرك للميلي ص 277.

وقال ابن عاشـور عن خطـورة الشـرك: «أكبر الاعتداء إذ هو اعتداء على المسـتحق المطلق العظيم؛ لأن من حقه أن يفـــــرد بالعبادة اعتقادًا وعملاً وقــولاً لأن ذلك حقه على مخلوقاتــه، ففي الحــديث: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شـيئًا**»[1]، إلى أن قـال: وذلك أن الشـرك جمع بـني الاعـتراف لله بالإلهية والاعـتراف لغـيره بالربوبية أيضًـا ولما كـان الاعـتراف لغـــيره ظلمًا كـــان إيمـــانهم بالله مخلوطًا بظلم»[2].

---

1 (?) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله 13/347، ح(7373) من حديث معاذ بن جبل.

2 (?) التحرير والتنوير 7/332-333.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر وأعان على إتمام هذا الكتاب، فله وحده المنة والفضل،وقد توصلت إلى نتائج أجملها فيما يلي:

أولاً: أن كلام المتقدمين كمالك وأصحابه الأوائل عن الشرك وأنواعه ووسائله قليل، لأن بدع القبورية لم تكن قد انتشرت بعد، وإنما كانوا يتكلمون في بعض هذه المسائل عرضًا إذا وردت في النصوص بخلاف ما عليه المتأخرون من المالكية فقد بسطوا القول في تلك المسائل كما هو ظاهر من النماذج المتقدمة من نصوصهم.

ثانيًا: أن للعلماء جهودًا مشكورة لحماية جناب التوحيد، ومحاربة البدع القبورية، وسد ذرائع الشرك ومنافذه.

ثالثًا: أن البدع القبورية قد أفسدت عقائد كثير من الناس وأوقعتهم في الشرك الأكبر.

رابعًا: أن الشارع احتاط فسد كل وسيلة تؤدِّي إلى الشرك، فحرَّم كل ما

يحـدث عند القبـور مما من شـأنه أن يفسد عقائد الناس.

خامسًـــــا: أن الشـــــرك إذلال وإهانة للإنسان، لأنه تعبيد الإنسان لمخلوق ضعيف مثلـــه،كما أنه يفتح بابًا واســعًا للأســاطير والخرافات.

وفي الختــام فهــذا جهد المقــل، وقــوى الإنسان محدود قاصرة، ورجائي من القارئ الكريم التماس العذر في كل نقص وهفوة، وأسال الله أن لا يجعل هــذا العمل خالصًــا لوجهه الكريم وأن يوفقنا جميعًا لهدي كتابه والسير على سنة رسوله .

والله من رواء القصد وهو حســـبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس